3. الاستدامة البيئية

تشكّل الاستدامة البيئية مصدر قلق عالمي بارز، إذ لم تظهر مختلف المناطق سوى قدرٍ ضئيلٍ من علامات التقدّم فيها. وحسبما كان متوقعاً، يسجّل عبء زيادة تغيُّر المناخ وكثافة الطاقة بالنسبة لأمريكا الشمالية معدّلات أعلى من المناطق الأخرى، وبدرجة أقل بالنسبة لأوروبا وآسيا الوسطى، ، بينما يشكّل عبء تردّي الصحة البيئية الشاغل الأساسي بالنسبة للمناطق النامية.

ولم تسجل أي منطقة في العالم درجة منخفضة أو منخفضة جداً على دليل الاستدامة البيئية، ما يسلّط الضوء على خطورة التحديات ذات الصلة. وتواجه أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى أعلى مستوى من التحديات، ما يعزى بشكل أساسي إلى درجاتها المرتفعة جداً فيما يتعلق ببعد الصحة البيئية. وتواجه أوروبا وآسيا الوسطى أقل قدر من التحديات في هذا المجال.

ألف. أبرز النتائج

تُقاس درجات تحدي الاستدامة البيئية الإقليمية للأعوام 2000 و2010 و2020 استناداً إلى مكوّني تغيُّر المناخ وكفاءة استخدام الطاقة والصحة البيئية (الشكل 24). وقد شهدت جميع مناطق العالم انخفاضاً طفيفاً في درجاتها، ما يشير إلى تراجع في التحديات البيئية التي تواجهها. وحافظت بلدان أوروبا وآسيا الوسطى على موقعها كبلدان أقل عرضة للتحديات البيئية على مدى السنوات الثلاث آنفة الذكر، بينما سجّلت أمريكا الشمالية أكبر انخفاض في الدرجات.

الشكل 24. الدرجات الإقليمية وحصص الأبعاد حسب دليل تحدي الاستدامة البيئية للأعوام 2000 و2010 و2020

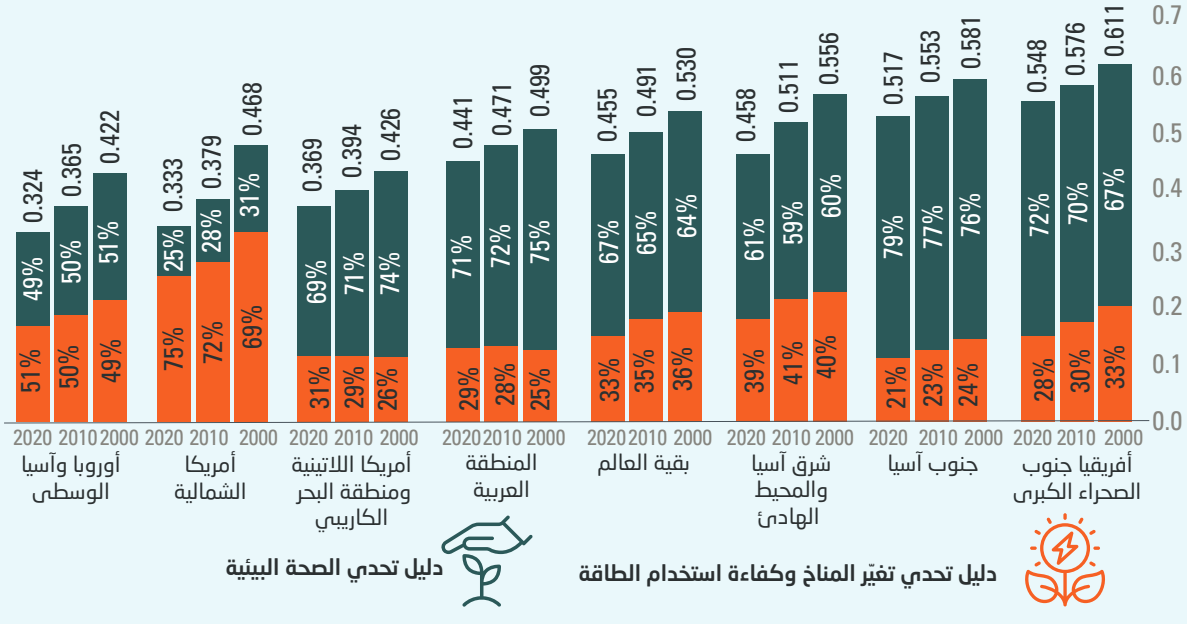

المصدر: حسابات الإسكوا.

الشكل 25. أعداد السكان في كل فئة من فئات دليل تحدي الاستدامة البيئية، حسب المنطقة للأعوام 2000 و2010 و2020

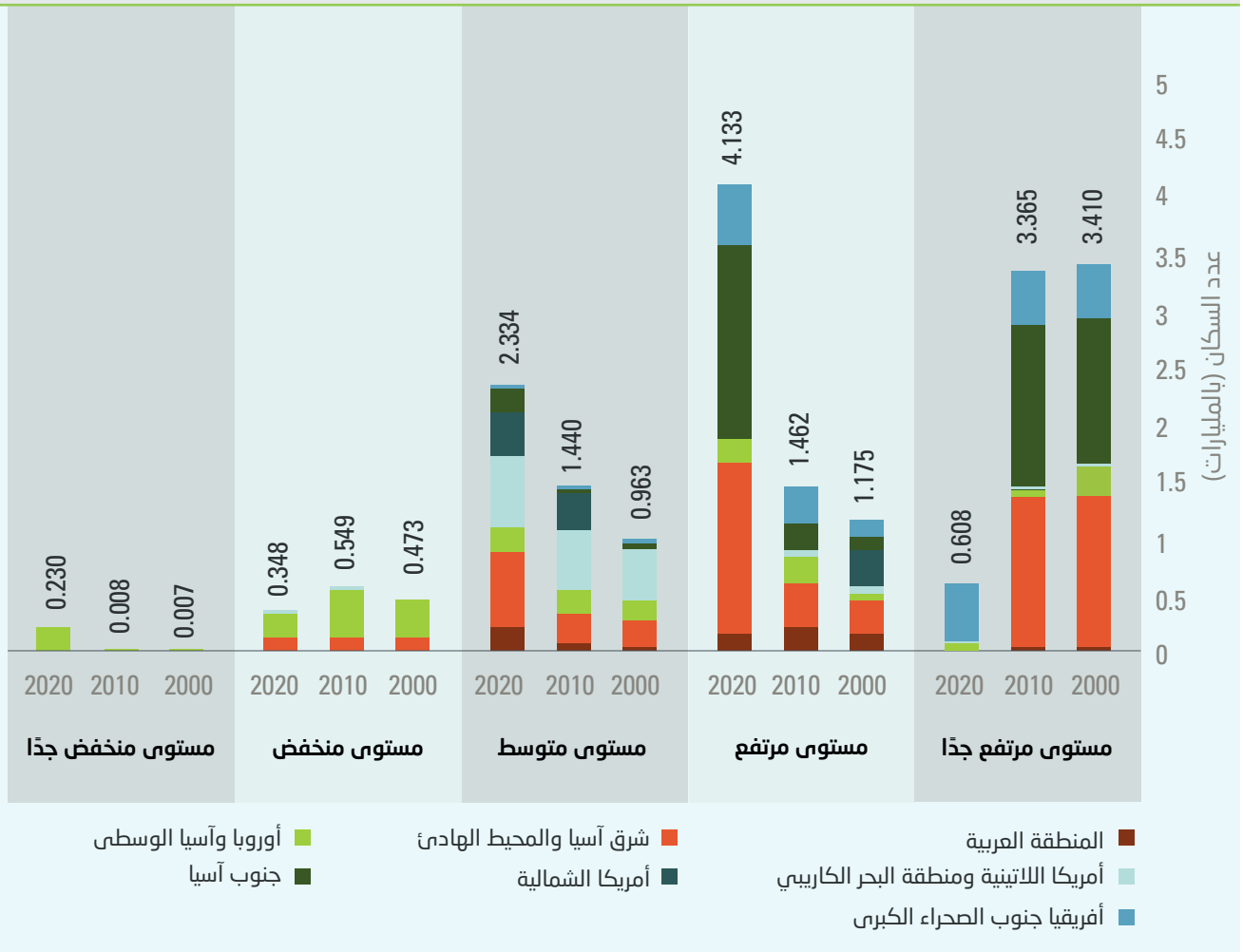

المصدر: حسابات الإسكوا.

وتواجه معظم المناطق مستوى أعلى من تحديات الصحة البيئية مقارنة بتحديات تغيُّر المناخ وكفاءة استخدام الطاقة، وتسجّل منطقة جنوب آسيا أعلى حصة من تحديات الصحة البيئية عند حوالي 80 في المائة. وتُعدُّ أوروبا وآسيا الوسطى وأمريكا الشمالية المنطقتين الوحيدتين اللتين تتمتعان بحصة أعلى من تحديات تغيُّر المناخ وكفاءة استخدام الطاقة. وتعزى ثلاثة أرباع درجات أمريكا الشمالية إلى هذا البعد. أمّا المناطق المتقدمة النمو، التي عالجت التحديات الأساسية للصحة البيئية، بما فيها توفير المياه النظيفة ومرافق الصرف الصحي، والحد من استخدام الوقود الصلب داخل المنازل والتعرض للجسيمات العالقة التي لا يتجاوز قطرها 2.5 ميكرومتر، فهي تمارس مستوى أعلى من الضغوط على الكوكب.

ولا يعيش سوى 7.5 في المائة من سكان العالم في البلدان التي تواجه مستوى منخفضاً ومنخفضاً جداً من تحديات الاستدامة البيئية، ومعظمهم في أوروبا (الشكل 25). وفي المقابل، يعيش 62 في المائة من سكان العالم في البلدان التي تواجه مستوى مرتفعاً ومرتفعاً جداً من التحديات. وحدثت تحسينات واضحة في التوزيع بين هاتين الفئتين، حيث انتقلت عدة بلدان في جنوب وشرق آسيا من فئة التحديات المرتفعة جداً إلى فئة التحديات المرتفعة، بما فيها الصين والهند، اللتان ينبغي التنويه بأهمية إنجازهما نظراً للثقل الديمغرافي البارز فيهما. ومع ذلك، يُعدُّ التقدم المحرز في هذا المجال غير كافٍ، نظراً إلى أن عدداً كبيراً من سكان العالم ما زالوا بعيدين عن تحقيق مسار التنمية المستدامة.

الشكل 26. بلدان العالم التي تواجه أدنى مستوى من التحديات (باللون الأخضر) وتلك التي تواجه أعلى مستوى من التحديات (باللون الأحمر) حسب دليل تحدي الاستدامة البيئية

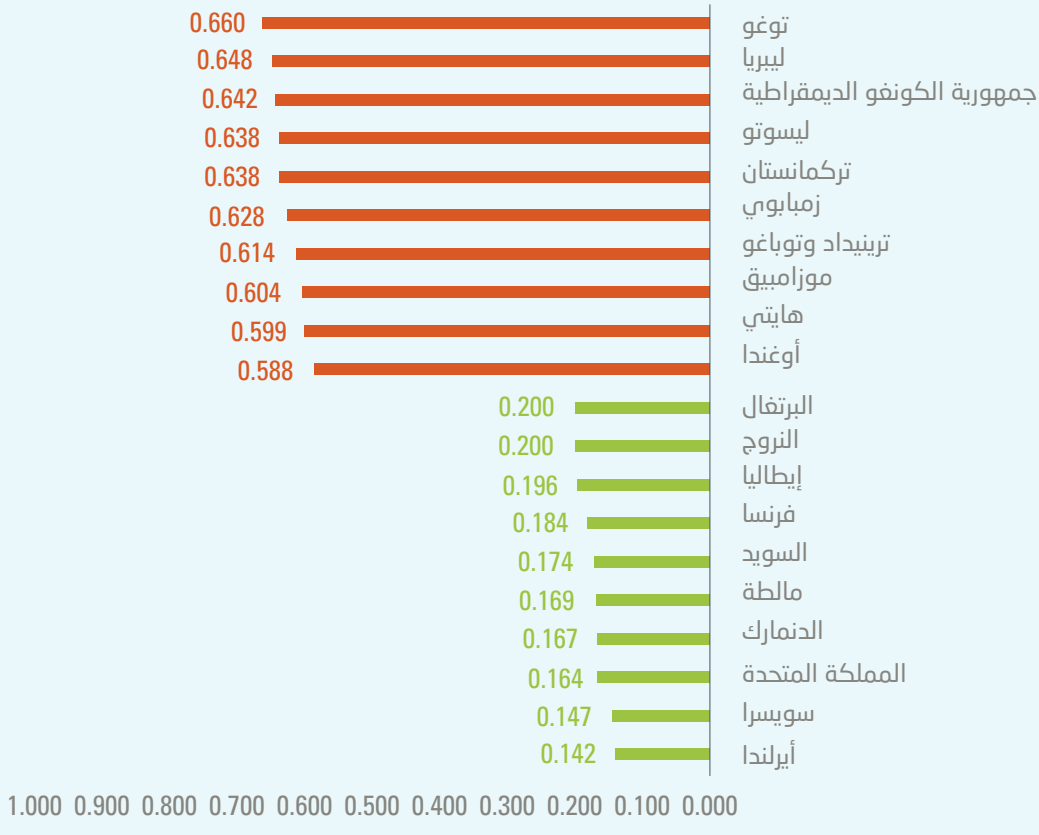

المصدر: حسابات الإسكوا.

ومن بين مختلف البلدان، تقع البلدان العشرة التي تواجه أقل قدر من التحديات البيئية في أوروبا (الشكل 26). وقد اعتمد العديد منها استراتيجيات للطاقة المتجددة تستند إلى إصلاحات استباقية. وعلى سبيل المثال، شهدت الدانمرك خلال السنوات العشر الماضية ارتفاعاً في حصّتها من المصادر الجديدة للطاقة المتجددة من 15 إلى 35 في المائة من إجمالي إمدادات الطاقة الأولية، وهي تطمح إلى بلوغ نسبة 100 في المائة من الطاقة الكهربائية الخضراء بحلول عام 2030 وبلوغ صافي انبعاثات صفري لغازات الدفيئة بحلول عام 2050[36]. وتشمل فئة البلدان التي تواجه أعلى مستوى من التحديات البيئية بلدان أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى بشكل أساسي، بالإضافة إلى هايتي وترينيداد وتوباغو من منطقة البحر الكاريبي، وتركمانستان من آسيا الوسطى.

©iStock-South_agency

الإطار 2. تركيز على تحديات تغيّر المناخ وكفاءة استخدام الطاقة

معظم السكان في البلدان ذات التحديات المنخفضة والمنخفضة جداً يعيشون في أوروبا وآسيا الوسطى، ويعود تسجيل الدرجات الأدنى في المناطق الأكثر ثراءً إلى أدائها الجيد في الصحة البيئية. ولكن بالنسبة إلى تغيّر المناخ وكفاءة استخدام الطاقة، فهي من أكثر المناطق التي تنبعث منها غازات الدفيئة وبالتالي الأكثر مساهمةً في تغيّر المناخ والضغوط على الكوكب. مثلاً، تسجل أمريكا الشمالية أعلى درجة حسب دليل تحدي تغيّر المناخ ودليل تحدي كفاءة استخدام الطاقة وهي درجة عالية تبلغ 0.502 (الشكل أ). وبأرقام أدق، تبلغ درجة تحدي تغيّر المناخ في شمال أفريقيا 0.602، مقارنةً بدرجة 0.04 في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. أما أوروبا وآسيا الوسطى فتسجل درجة أفضل نسبياً بما أنها تضم عدة بلدان متوسطة الدخل وبلدان آسيوية، ولكن عند النظر إلى أكثر 20 بلداً يواجه أعلى مستوى من تحدي تغيّر المناخ، يتبيّن أن نصف هذه البلدان هي بلدان أوروبية مرتفعة الدخل (الشكل ب).

أ. الدرجات الإقليمية حسب دليل تحدي تغيّر المناخ ودليل تحدي كفاءة استخدام الطاقة وحصص الأبعاد الفرعية، 2020

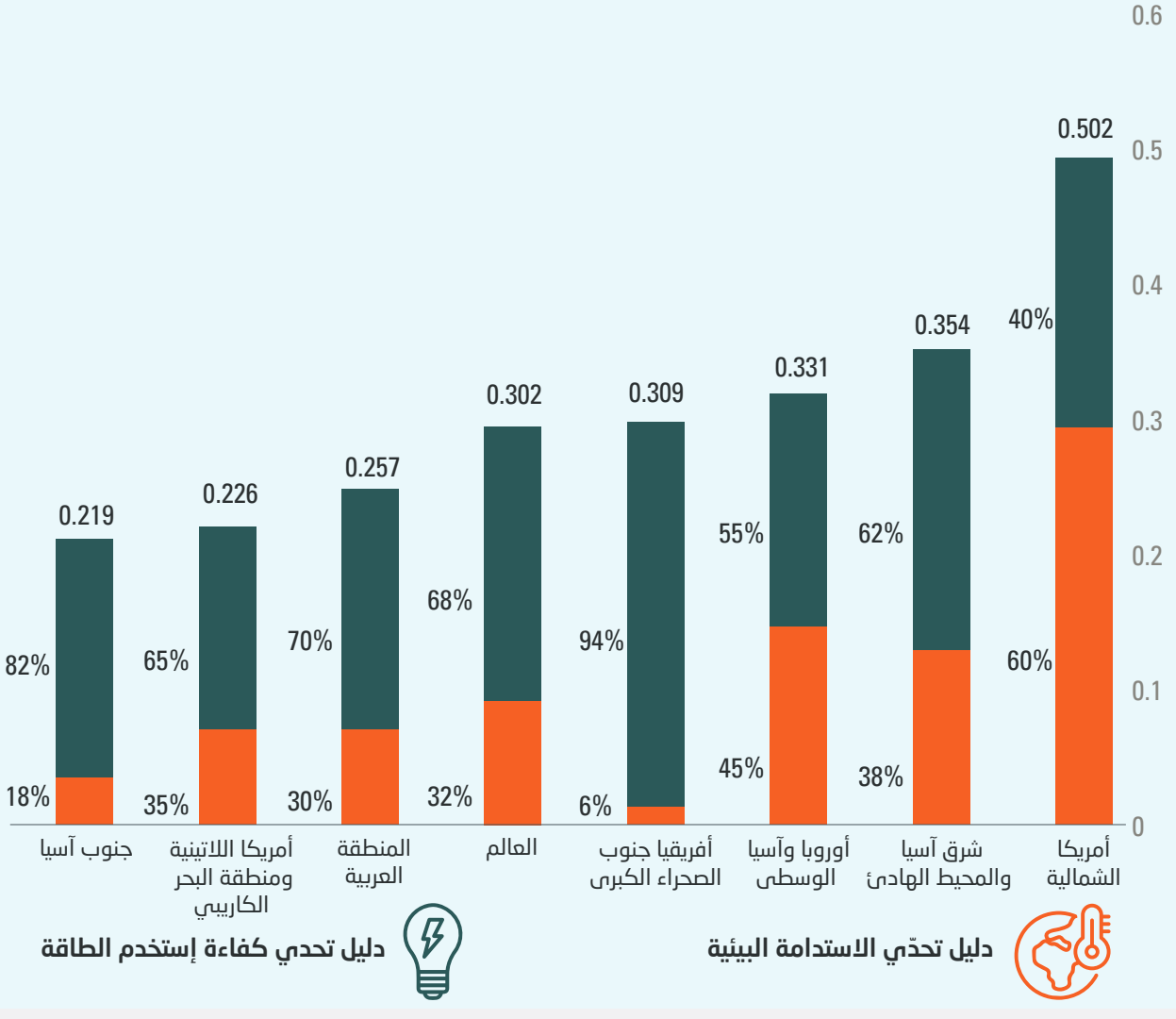

المصدر: حسابات الإسكوا.

ب. البلدان التي تواجه أعلى مستوى من التحديات حسب دليل تحدي تغيّر المناخ، 2020

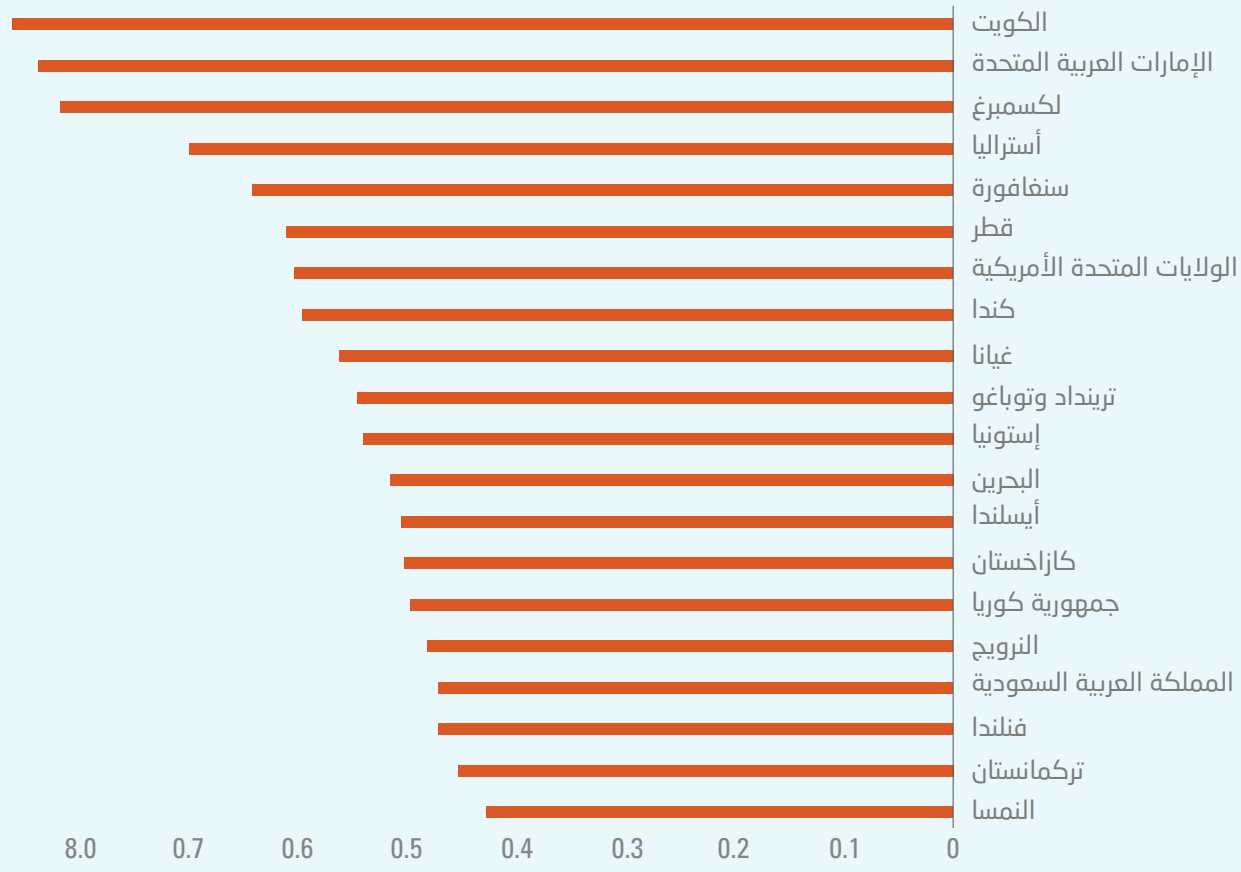

المصدر: حسابات الإسكوا.

ويشير انخفاض درجات تحدي الاستدامة البيئية بشكلٍ طفيف خلال العقد الماضي إلى أن مختلف بلدان العالم بدأت تدرك أهمية الحفاظ على البيئة. ومع ذلك، تبرز تفاوتات هامة في مستوى التقدم نحو تحقيق هذا الهدف، وتواجه بعض البلدان تحديات متزايدة في مجال الاستدامة البيئية (الشكل 27).

©kynny/iStock / Getty Images Plus via Getty Images

الشكل 27. أبرز التحسينات والانتكاسات حسب دليل الاستدامة البيئية (الترتيب لعام 2020 ناقص الترتيب لعام 2000)

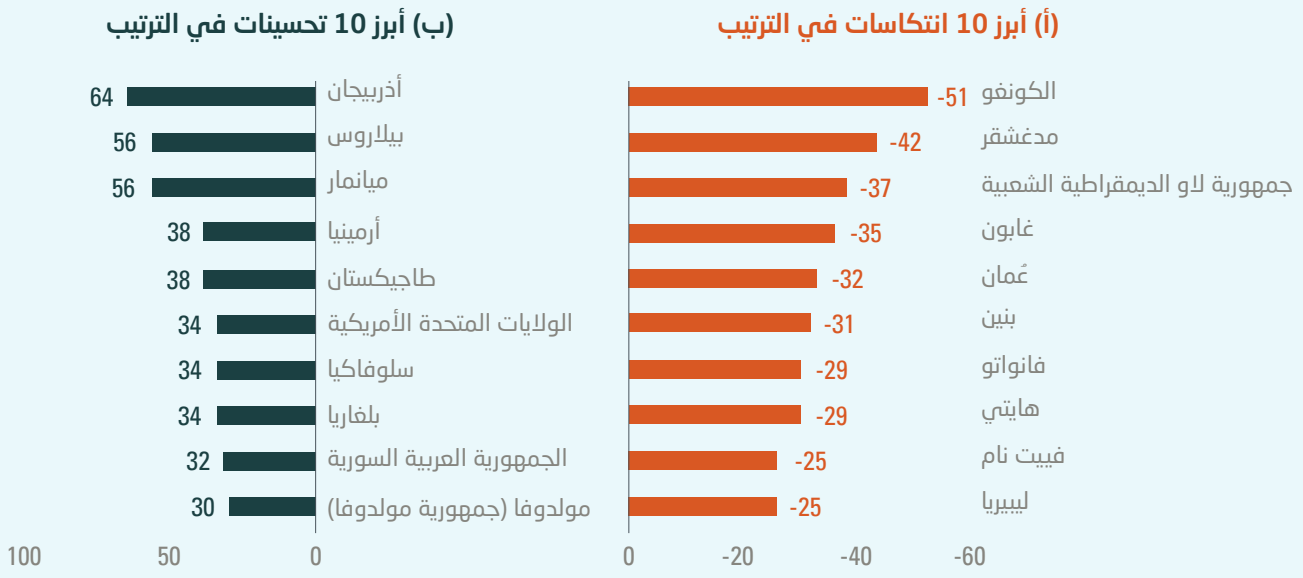

المصدر: حسابات الإسكوا.

ولا يوجد نمط مناطقي موحد للتقدم المحرز في مجال الاستدامة، إذ تشمل قائمة أكبر الفائزين والخاسرين حسب دليل الاستدامة البيئية بلداناً من جميع مناطق العالم. وتقع الولايات المتحدة من بين أفضل 10 بلدان في العالم استطاعت أن تحسّن تصنيفها حسب الدليل، نظراً للتقدم الذي أحرزته في بُعدَي الاستدامة البيئية، ولا سيّما الصحة البيئية. وفي المنطقة العربية، تبرز الجمهورية العربية السورية كواحدة من أولى البلدان التي حققت تحسينات، لكن يُعزى ذلك لسوء الحظ إلى انخفاض استهلاك الطاقة الناجم عن الدمار الاقتصادي الذي تسبب به الصراع على أراضيها. كذلك تتصدر قائمة البلدان التي حققت تحسينات عدة بلدان من الاتحاد السوفييتي السابق، بما فيها أذربيجان وبيلاروس وطاجيكستان. وقد واجهت هذه البلدان مستويات مرتفعة جداً من تحديات الصحة البيئية في عام 2000، كما نجحت في إجراء تحسينات ملحوظة خلال العقدين الماضيين، ولا سيما فيما يتعلق بتوفير مياه الشرب ومرافق الصرف الصحي وإدارة النفايات الصلبة.

ويذكر أن مجموعة البلدان العشرة التي تراجع ترتيبها أكثر من سواها حسب الدليل تضمّ خمسة من البلدان ذات الدخل المنخفض والأقل نمواً في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى (الشكل 27). ويشار إلى أن أنماط النمو في تلك البلدان ارتبطت بارتفاع ملحوظ في بصمتها المادية، ما لا يدعو إلى الدهشة، لأن خطوط الأساس منخفضة نسبياً لديها. وفي الإجمال، تشير النتائج إلى أن بعض البلدان التي تواجه أعلى مستوى من التحديات البيئية تعتمد سياسات صديقة للبيئة تهدف بشكل أساسي إلى الحد من الاعتماد على الطاقة المستخرجة من الوقود الأحفوري وتخفيض الضغوط الناجمة عن تغيُّر المناخ، بينما تتحرك أفقر البلدان في الاتجاه المعاكس نظراً لانخراطها في عملية التحول الاقتصادي.

باء. العوامل المؤثّرة

تؤثر الحوكمة على الاستدامة البيئية ولكن العلاقة بينهما ليست مباشرة. وفي الإجمال، يبدو أن هناك ترابطاً إيجابياً بين دليل تحدي الحوكمة ودليل الاستدامة البيئية (الشكل 28)، رغم أن الحوكمة تؤثر على كل مكون من مكونات دليل الاستدامة البيئية بشكل متباين. ويجمع بين الحوكمة وتغيُّر المناخ ترابط سلبي (الشكل 29)، ما يسلّط الضوء على حقيقة أن بعض البلدان الأكثر ثراء التي تعتمد نُظُماً أفضل للحوكمة، مثل كندا ولكسمبرغ وسنغافورة والولايات المتحدة، تصنّف أيضاً ضمن أبرز بلدان العالم التي تنبعث منها غازات الدفيئة. وفي سياق متصل بهذه النتائج، يكمن أحد أبرز التحديات العالمية في عدم وضوح العلاقة بين كفاءة استخدام الطاقة والحوكمة. وفي هذا الشأن، يُستنتج في الأساس بأن نُظُم الحوكمة في بلدان العالم الأكثر ثراء غير فعّالة إجمالاً في معالجة تحديات الاستدامة البيئية العالمية. ويجدر بهذه النُظُم أن تستكشف كيفية وضع سياسات تهدف إلى الوفاء بمعايير اتفاق باريس بشأن تغيُّر المناخ.

الشكل 28. الحوكمة الرشيدة والاستدامة البيئية

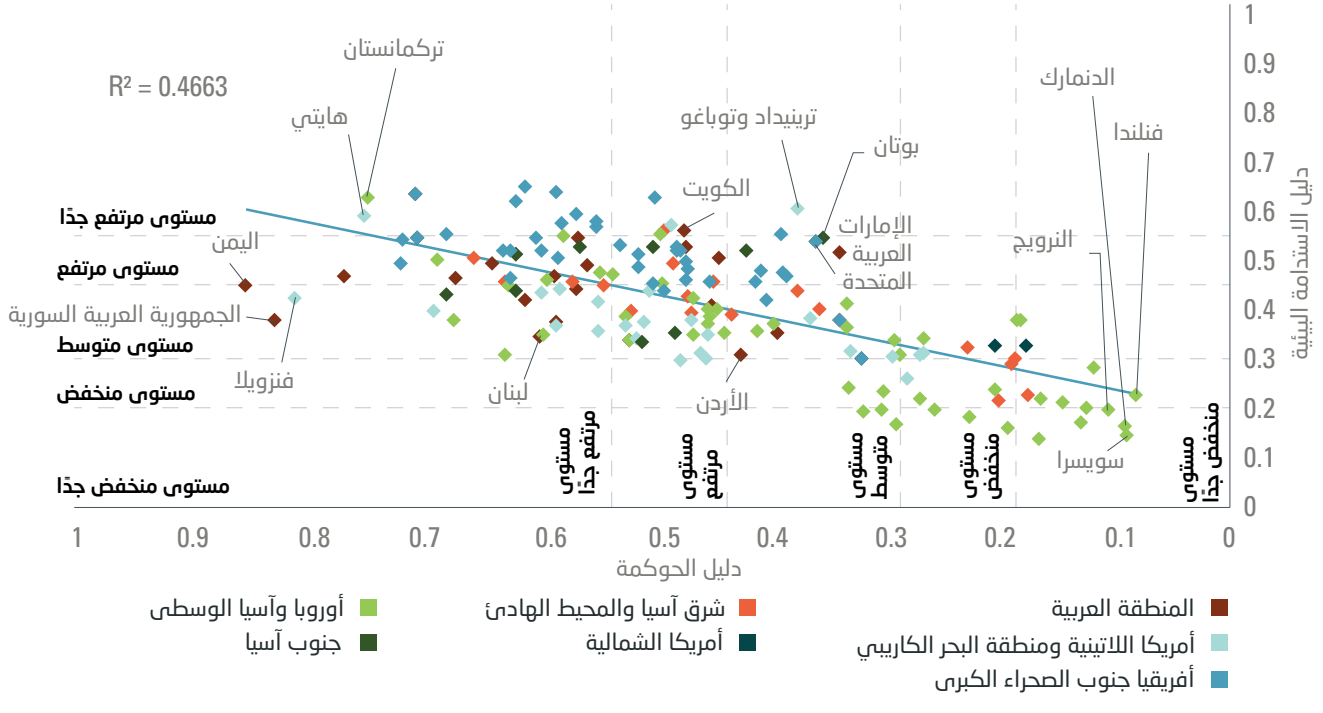

المصدر: حسابات الإسكوا.

الشكل 29. الحوكمة الرشيدة وتغيُّر المناخ

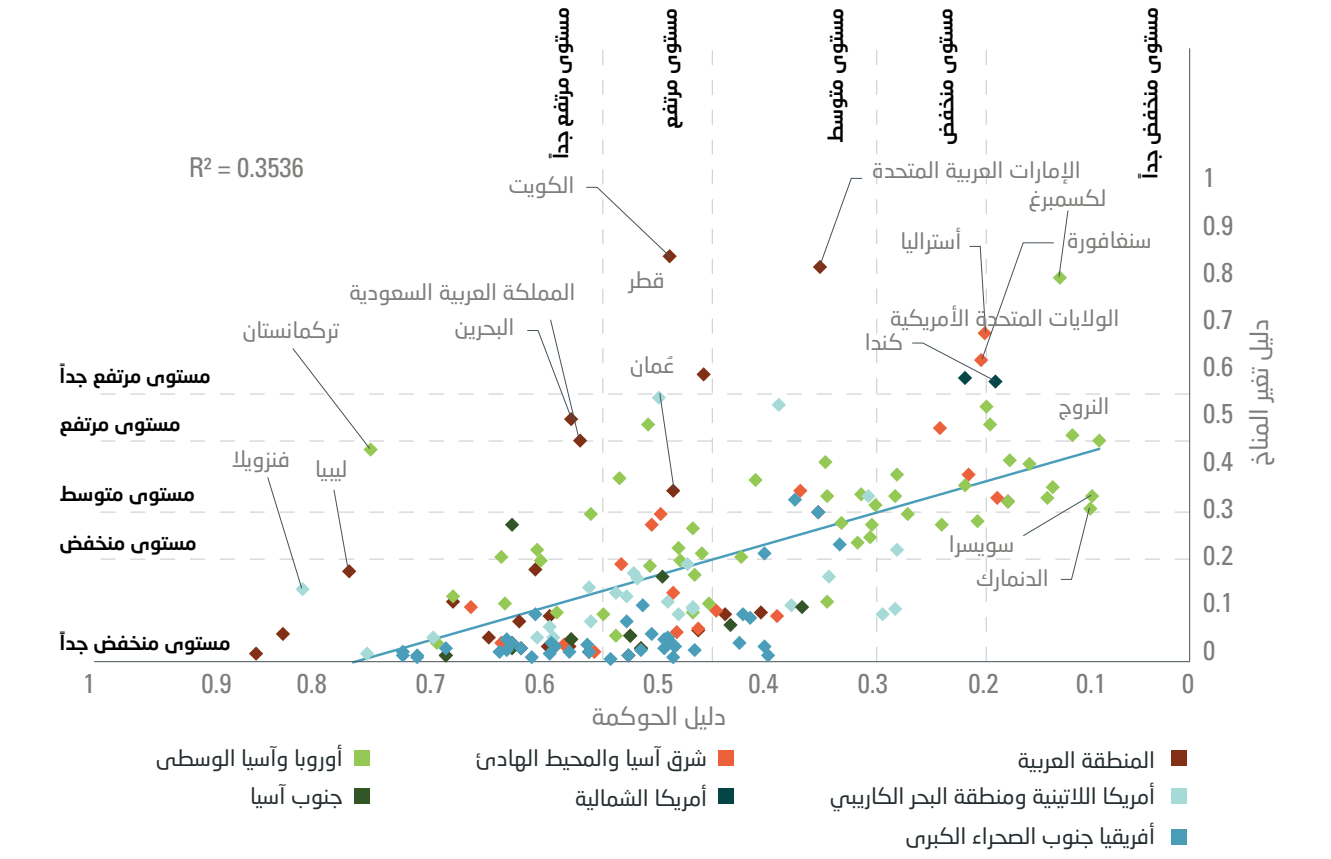

المصدر: حسابات الإسكوا.

وفي المقابل، تتسم العلاقة بين الصحة البيئية والحوكمة بالترابط، ما يشير إلى أن الحوكمة الرشيدة تؤدي دوراً هاماً في تحسين جودة الهواء، والحصول على مياه الشرب ومرافق الصرف الصحي، والإدارة الجيدة للنفايات، والتخلص من المعادن الثقيلة (الشكل 30). ولا غرابة في أن البلدان التي تواجه أعلى مستوى من تحديات الحوكمة، مثل الجمهورية العربية السورية واليمن، تشكو في المقابل من أسوأ وضع للصحة البيئية، ما يعزى كذلك بشكل جزئي إلى الصراع الذي شهدته الدولتان المذكورتان.

الشكل 30. الحوكمة الرشيدة والصحة البيئية

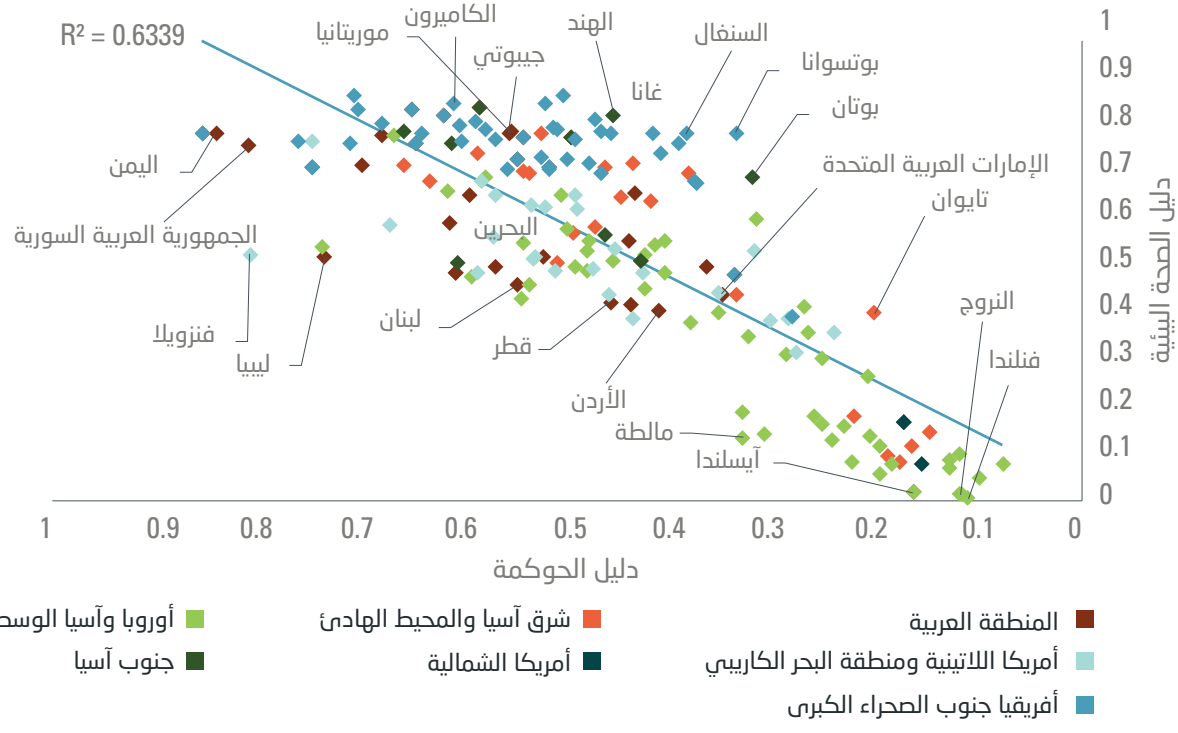

المصدر: حسابات الإسكوا.

يكشف فحص العلاقة القائمة بين الصحة البيئية ومتوسط العمر الصحي المتوقع عن ترابط إيجابي متين (الشكل 31). ولا غرابة في ذلك، إذ يهدف دليل الصحة البيئية إلى قياس الأثر الصحي للعوامل البيئية، بما فيها تلوّث الهواء وتأمين مياه الشرب ومرافق الصرف الصحي. لكنّ العلاقة بين الدليلين ليست خطية، ذلك أن متوسط العمر الصحي المتوقع لا يبدأ في التحسن بشكل ملحوظ إلا بعد تسجيل دليل الصحة البيئية مستوى منخفضاً نسبياً من التحديات.

الشكل 31. الصحة البيئية ومتوسّط العمر الصحي المتوقع

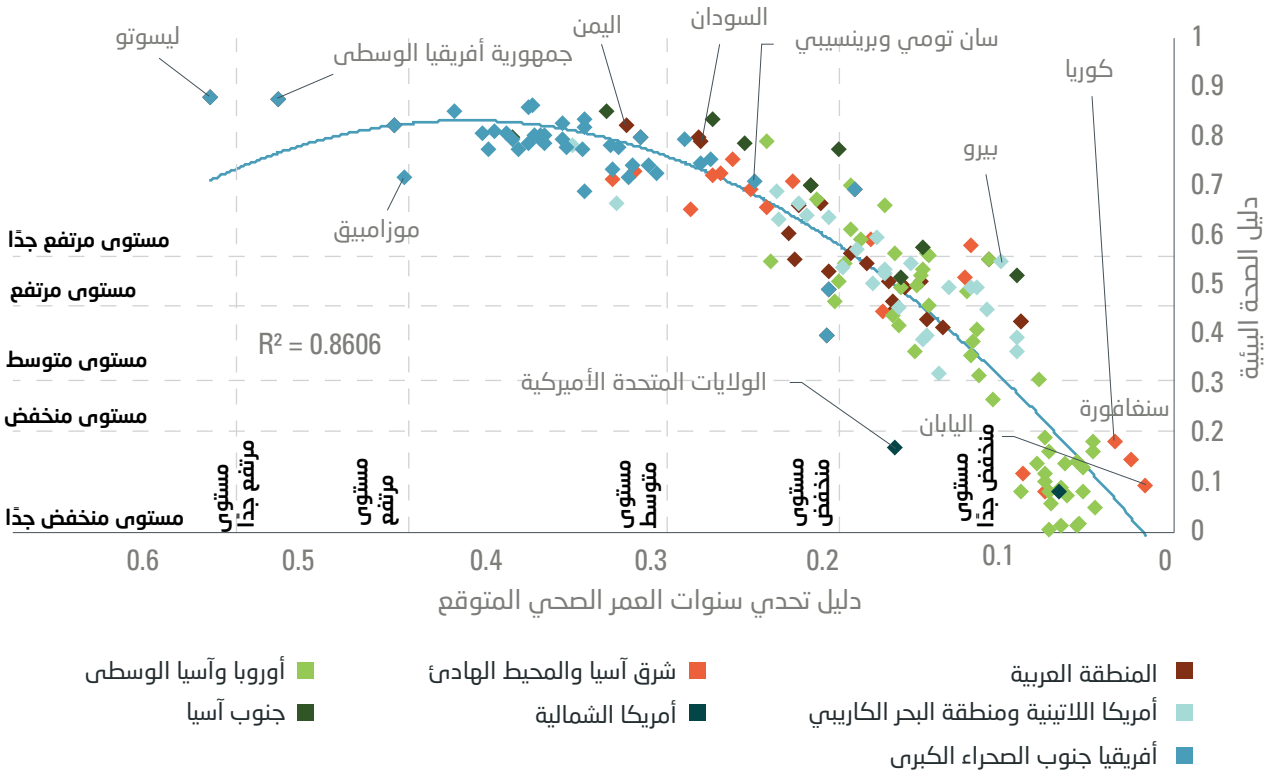

المصدر: حسابات الإسكوا.

ويخلص البحث إلى نتيجة أخرى هامة مفادها انعدام الترابط بين المصادر الحديثة للطاقة المتجدّدة من جهة وتغيُّر المناخ وكفاءة استخدام الطاقة من جهة أخرى (الشكل 32). ويمكن تفسير ذلك بعدم اعتماد مختلف البلدان تكنولوجيات الطاقة المتجددة بشكل كاف، ما يحدّ من القدرة على تقليص الضغوط على الكوكب أو خفض استهلاك الطاقة. وينبغي أن تسرّع بلدان العالم جهودها من أجل تشجيع مصادر الطاقة النظيفة التي تحد من ثاني أكسيد الكربون وغيره من غازات الدفيئة وبصمة المواد، وتحسن كفاءة استخدام الطاقة.

الشكل 32. تغيُّر المناخ وكفاءة استخدام الطاقة والمصادر الحديثة للطاقة المتجددة

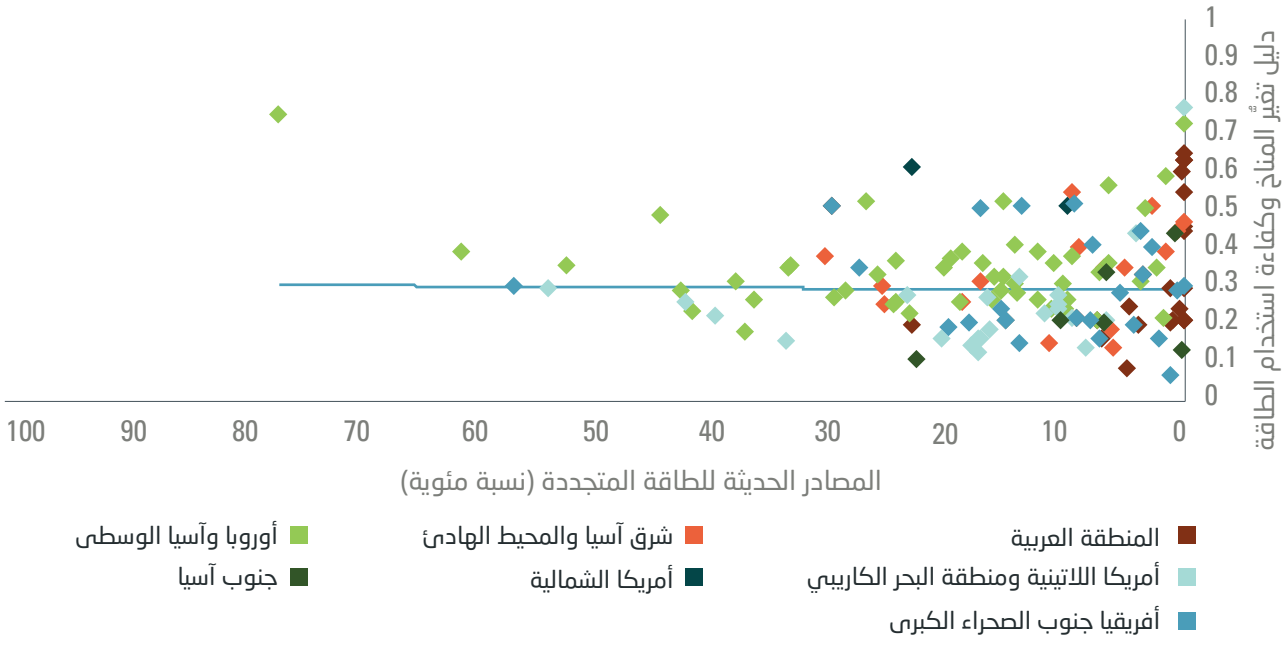

المصدر: حسابات الإسكوا.

جيم. الخلاصة

ترمي أهداف وخطة التنمية المستدامة لعام 2030، إلى تسليط الضوء على الاستدامة البيئية بوصفها تحدّياً عالمياً بارزاً، بينما يؤكد دليل الاستدامة البيئية أن مناطق العالم لم تحقق سوى تقدّم ضئيل على هذا الصعيد. وينبغي للبلدان المتقدمة النمو أن تتّخذ المزيد من الخطوات للحد من كثافة الطاقة وبصمة المواد، بوصفهما أبرز مسارين للتصدي لتحديات الاستدامة البيئية. وتتحمل البلدان النامية عبئاً مزدوجاً في هذا المجال، إذ ينبغي عليها أن تركز بشكل أساسي على تحسين الصحة البيئية، مع مراعاة أهمية تجنب المسارات السابقة التي اتبعتها البلدان الأكثر ثراء في عملية التصنيع والتحضّر، والتي أسهمت في تغيُّر المناخ وزيادة استهلاك الطاقة. ويمكن للتقدم التكنولوجي أن يسهل تحقيق هذا الهدف بالنسبة للبلدان الفقيرة، ولكن ذلك يتطلب الحصول على دعم أكبر من البلدان الأكثر ثراء.

وفي نهاية المطاف، تتوقف الاستدامة العالمية على اتخاذ جميع البلدان إجراءاتٍ سريعة وذكية ذات صلة، لأن عدم اتخاذها سيؤدي إلى إخفاقاتٍ في تحقيق أهداف التنمية البشرية تتكبّدها الأجيال الحالية والمستقبلية.